



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



جدلية الدين والعلم في العصور الوسطى، بين التصادم والتوافق

The dialectic of religion and science in the Middle Ages between conflict and harmony

نورالدين بوزار^{1*}

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.

Key words:	Abstract
<i>The Middle Ages</i>	This research paper seeks to undertake a thorough examination of a subject of immense and significant importance that has occupied a central place in the intellectual discourse among a diverse array of scholars, philosophers, and religious leaders throughout history: it scrutinizes the complex nature of the relationship that existed between religion and science during the European Middle Ages. Specifically, we aim to elucidate whether this relationship was characterized by confrontation or complementarity. Our primary objectives in this study are twofold: first, to ascertain whether religion functioned as an impediment to scientific advancement during the Middle Ages, and second, to explore the extent to which it may have acted as a catalyst for scientific progress. To investigate this topic, we employ descriptive, analytical, and critical methodologies to engage with the subject matter. Our key findings are poised to illuminate the complexities of this relationship, highlighting that the interplay second, to explore the extent to which it may have acted as a catalyst for scientific progress. This dynamic, multifaceted relationship is likely to persist for the duration of human existence, evolving with each new development in our understanding of both scientific inquiry and religious belief.
<i>Religion</i>	
<i>Science</i>	
<i>The church</i>	
<i>Reason</i>	
<i>Theology.</i>	

ملخص	معلومات المقال
تسعى هذه الورقة البحثية إلى إجراء تحليل دقيق لموضوع بالغ الأهمية، وقد شغل مكانة مركزية في الخطاب الفكري بين مجموعة متنوعة من العلماء والفلاسفة والقادة الدينيين عبر التاريخ، وهو يتناول الطبيعة المعقدة للعلاقة القائمة بين الدين والعلم خلال العصور الوسطى الأوروبية. وبشكل محدد، تهدف هذه الدراسة إلى توضيح ما إذا كانت هذه العلاقة قد اتسمت بالتحدي أو بالتكامل. تتمثل الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة في: أولاً، دراسة ما إذا كان الدين قد شكل عائقاً أمام التقدم العلمي خلال العصور الوسطى، وثانياً، استكشاف مدى تأثيره كعامل محفز للتقدم العلمي. لمعالجة هذا الموضوع، اعتمدنا على مناهج وصفية وتحليلية ونقدية للتفاعل مع المواد العلمية ذات الصلة. ومن المتوقع أن تسلط النتائج الرئيسية الضوء على تعقيدات هذه العلاقة، مشيرة إلى أن التفاعل بين الدين والعلم قد شهد تدبذبات بين فترات من التوتر والصراع، وفترات من التناغم والتكامل. كما يُحتمل أن تستمر هذه العلاقة الديناميكية والمتعددة الأبعاد طوال الوجود البشري، متطورة مع كل تقدم جديد في فهمنا للبحث العلمي والمعتقدات الدينية.	تاريخ المقال: الإرسال: 2025-02-17 القبول: 2025-04-26
	الكلمات المفتاحية: العصور الوسطى الدين العلم الكنيسة العقل اللاهوت.

1. مقدمة

تعتبر العصور الوسطى حقبة زمنية وُسِّمت بعصور الظلام، بحيث حدث فيها تراجع كبير في كل مجالات المعرفة الإنسانية، العلمية والفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... الخ، فهي حقبة تلت حقبة حضارية متميزة وهي الحقبة اليونانية التي قام فيها اليونانيون بالتأسيس العقلاني للمعرفة، من خلال ظهور الكثير من العلوم البرهانية وفي مقدمتها الفلسفة والرياضيات والهندسة والمنطق والطبيعات والتاريخ والسياسة والتراجيديا وغيرها من المجالات والميادين. ونظرا للتراجع الكبير في مستويات الإنتاج الفكري في هذه العصور مقارنة مع العصر اليوناني، فإن بعض المفكرين ذهب إلى الاعتقاد بأنه لا يمكننا الحديث في هذه العصور عن أي إنتاج علمي أو فلسفي بالمعنى الحقيقي للكلمة.

ولقد تميزت هذه العصور الوسطى، بأنها عصور بروز الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلامية، والتي وجدت نفسها في صراع مع ما كان سائدا في مجتمعات هذه العصور من ديانات ومعتقدات متعددة الأصول والمشارب. ولم يقتصر هذا الصراع على الجانب الديني، بل امتد ليمس المجالات العلمية والفلسفية والسياسية... الخ.

إن حالة التخلف والاضطراب التي ميزت المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى، مكَّنت الكنيسة من الهيمنة على الدين، معتبرة نفسها ممثلا لإرادة الله في الأرض، ومن ثم استغلت الدين لتحقيق أغراضها والتمكن من توجيه الحياة السياسية والدينية والفكرية وتحديد الأطر التي ينبغي للعقل النشاط ضمنها.

إن هذه الوضعية أنتجت حالة من التشنج بين الدين والعلم، وبالتالي بين رجال الدين والعلماء والفلاسفة. ولقد اشتد الخلاف بين الفئتين في تحديد مجالات وحدود اشتغال الدين والعلم، وعليه يمكننا التساؤل: ما طبيعة العلاقة بين الدين والعلم؟ هل تعتبر علاقة تصادم أم علاقة توافق؟ هل كان الدين في العصور الوسطى عائقا للحركة العلمية أم كان محفزاً ومنتشطا لها؟ وعلى أي أساس تم وسم العصور الوسطى الأوروبية بالظلامية؟ وهل وسمها بهذه السمة تعبير عن غياب أو تراجع الحركة العلمية في هذه العصور ككل؟

لا يمكننا معالجة هذه التساؤلات، إلا من خلال البحث وفق خطة منهجية دقيقة تمكنا من التتبع الواعي لهذه المسألة، أقصد جدلية الدين والعلم بين التصادم والتوافق. وعليه فمعالجة هذا الموضوع تتطلب منا البدء بتقديم شبكة مفهومية نقوم من خلالها بضبط المفاهيم الأساسية للموضوع، ونعني الدين والعلم، وهذا يُوقفنا على الخصائص المميزة لكل من الدين والعلم والفروق القائمة بينهما، بالإضافة إلى بيان المجالات التي يشتمل عليها كل منهما، ثم نقوم بعد ذلك، برصد جدلية الدين والعلم عبر التاريخ، بحيث يتم استعراض أبرز

المحطات التي كان فيها حضورا قويا لهذه الجدلية، لأننا نعلم أن جدلية الدين والعلم ضاربة في أعماق التاريخ الإنساني، أي من اللحظة التي برز فيها الدين والعلم. ولأننا نعلم أن الحديث عن علاقة الدين بالعلم في العصور الوسطى الأوروبية لا يمكن أن يتم بصورة دقيقة إذا نحن لم نعد إلى الأصول التاريخية لهذه العلاقة، كيف بدأت؟ كيف تطورت؟ وما هي الدلالات والأبعاد التي أخذتها في العصور الوسطى؟ ومن ثم نتجه إلى الحديث عن طبيعة العلاقة بين الدين والعلم، مستعرضين أبرز المواقف التي تؤكد طبيعة التصادم بين الدين والعلم، والتي تعتبر الدين من أبرز عوائق الحركة العلمية في العصور الوسطى، باحثين عن الأسس التي بُنيت عليها هذه المواقف، والنتائج المترتبة عنها. ثم ننتقل بعد ذلك إلى عرض المواقف التي تؤكد طبيعة التوافق بين الدين والعلم، والتي لا تعتبر الدين عائقا للحركة العلمية في العصور الوسطى، بل عامل تنشيطها، ثم التعرّيج على الأسس التي بُنيت عليها مواقفهم والنتائج المترتبة عنها.

ونُهي بحثنا بتقديم جملة النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، وكذا ما يفتحته من آفاق مستقبلية.

1. مفهوم الدين والعلم:

أ. مفهوم الدين:

1. التعريف اللغوي للدين:

عرّف الرازي الدين لغوياً فقال: "الدين بالكسر: العادة والشأن، ودانه يُدينه دينا بالكسر: أدله واستعبده، فدان. وفي الحديث: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت". والدين أيضا: الجزاء والمكافأة، يقال: دان يدينه دينا أي جازاه، يقال: كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازي بفعلك وبحسب ما عملت. وقوله تعالى: ﴿أَنَا لَمَدِينُونَ﴾ أي لمجزيون محاسبون. ومنه: الديان في صفة الله تعالى. والمدين العبد، والمدينة الأمة، كأنهما أدلهما العمل، ودانه ملكه، (...). والدين أيضا الطاعة، تقول: دان له يدين دينا، أي أطاعه. ومنه الدين، والجمع الأديان. ويُقال دان بكذا ديانته، فهو ديين، وتدين به، فهو مُتَدِينٌ، ودينه تدينًا: وكله إلى دينه." (الخشت، 2001، صفحة 11)

ومن خلال تحليل هذا المفهوم اللغوي للدين، بممكننا استخلاص الآتي:

1- الدين في اللغة هو العادة. وربما أُعتبر الدين عادة: لأن الناس لا تعيش غالبا بدون دين سواء كان سماوياً أو وضعياً؛ فالدين عادة إنسانية.

2- كذلك يكشف التعريف اللغوي للدين عن أنه "شأن"، وقريب من هذا أن الدين هو "الحال"، قال ابن سلام: "والدين الحال. قال لي أعرابي: لو رأيتني على دين غير هذه، أي حال غير هذه." والدين شأن وحال، ربما لأن الدين شأن إنساني محض، وحالة إنسانية بحتة، فالدين نظام اجتماعي (...).

3- تُشتق كلمة الدين في بعض الأحيان من فعل متعدد بنفسه "دان يدينه ديناً بالكسر"، أي "أذله واستعبده"، والمراد، أخضعه، وحكمه، وملك أمره، وقهره. وينطوي الدين بهذا المعنى على نوع من إخضاع أتباعه لنظام وقواعد، و التحكم في سلوكهم، و امتلاك أمور حياتهم بتدبيرها و تصریفها. (الخشت، 2001، الصفحات 12-11)

ويُقدّم جميل صليبا مفهوماً للدين في معجمه الفلسفي، "ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير. و الفرق بين الدين و الملة و المذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى ديناً، ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة، و من حيث أنها يُرجع إليها تسمى مذهباً. والفرق بين الدين، و الملة، و المذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، و الملة منسوبة إلى الرسول، و المذهب منسوب إلى المجتهد. و كثيراً ما تُستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض. ولهذا قيل أنها متحدة بالذات و متغايرة بالاعتبار. و يطلق لفظ الدين أيضاً على الشريعة، و هي السنة، أي ما شرعه الله لعباده من السنن و الأحكام. (صليبا، 1982، صفحة 572)

وإذا بحثنا عن مفهوم الدين في اللغات الأجنبية، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، نجد أن اشتقاق كلمة الدين Religio - كما يقول لالاند - موضع جدل. فَيُستخرج معظم القدماء (لاكتانس، أوغسطين، سرفيوس) الدين Religio من religare، ويرون فيه فكرة الربط: سواء الربط الواجب تجاه بعض الممارسات، أو الربط الجامع بين الناس، أو بين البشر والآلهة. - من جهة ثانية يشتق شيشرون الكلمة من relire بمعنى تجديد الرؤية بدقة.

ويرى ج. لاشوليه أن كلمة Religio، تبدو بنحو عام، أنها تعني في اللاتينية الإحساس المصحوب بخوف و تأنيب الضمير، بواجب ما اتجاه الآلهة. لم يكن لدى القدماء سوى كلمة Religions ديانات، عند لوكريس، تعني كلمة Religio المفردة ديناً ما، الدين بوجه عام. (الخشت، 2001، الصفحات 12-13-14)

2- المفهوم الاصطلاحي للدين:

عرّف أهل الاختصاص الدين بتعريفات متنوعة، منها:

الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول، كذا عبر ابن الكامل، وعبارة غيره: وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات. وقال الحرثلي: دين الله المرضي الذي لا لبس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له، هو إطلاعه تعالى عبده على قيوميته الظاهرة بكل باد وفي كل باد و أظهر من كل باد و عظمتة الخفية التي لا يشير إليها اسم و لا يحوزها رسم وهي مداد كل مداد. (الخشت، 2001، صفحة 14)

وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة عدة معان:

■ الدين جملة الإدراكات و الاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله، وعبادتها إياه، و طاعتها لأوامره.

■ والدين أيضاً هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم، أو الإيمان بالجمال، أو الإيمان بالإنسانية، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبد الذي يحب خالقه و يعمل بما شرعه، لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بما يتصف به من مجرد، وحب، وإخلاص، وإنكار للذات. (صليبا، 1982، صفحة 572)

و إذا ما عرّجنا على التعريف الفلسفي للدين، فنجد تعريف يتنوع بتنوع الفلاسفة و مذاهبهم، إذ لا يوجد اتفاق بين الفلاسفة على تحديد ماهية الدين، فكل منهم ينظر إليه من وجهة نظره الخاصة، و هذه هي طبيعة الفلسفة، فالفلسفة ليست كياناً واحداً مثل العلم الرياضي أو الطبيعي، و إنما تتنوع بتنوع الفلاسفة، وفيما يلي بعض أهم التعريفات التي قدمها الفلاسفة للدين:

يقول كانط: " الدين هو معرفة الواجبات Duties كلها باعتبارها أوامر إلهية". Divine Commands

أما هيغل فيرى أن "الدين هو الروح واعيا بجوهره...، هو ارتفاع الروح من المتناهي إلى اللامتناهي". وهكذا فإن مفهوم الدين عند هيغل يتحدد - باختصار - على أنه بحث المتناهي على اللامتناهي، بحث الإنسان عن المطلق، ولقد أودعت الإنسانية - فيما يعتقد هيغل - أفكارها التي كونتها عن هذا الموضوع في الأديان بالإضافة إلى آرائها عن موقف الروح الإنساني من الألوهية و الخلود. (الخشت، 2001، صفحة 18)

ومن معاني الدين عند الفيلسوف الاجتماعي (دوركايم) أنه مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس، ولها جانبان أحدهما روحي مؤلف من العقائد و المشاعر الوجدانية، والآخر مادي مؤلف من الطقوس و العادات. (صليبا، 1982، صفحة 573)

ونجد لالاند في معجمه الفلسفي، يقدم للدين ثلاث تعريفات، وهي:

أ مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد، المتحددين: 1- بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ؛ 2- بالاعتقاد في قيمة مطلقة، لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها، و اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه؛ 3- بتنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه يُنظر إليها إما كقوة منتشرة، وإما كثيرة، وإما وحيدة، وهي الله.

ب نسق فردي لمشاعر و اعتقادات و أفعال مألوفة، موضوعها الله. فالدين هو تحديد المطالبة بوجهة نظر الشعور و الإيمان، إلى جانب وجهة نظر العلم.

ج. الاحترام الضميري لقاعدة، لعادة، لشعور. "دين كلام الشرف". إن هذا المعنى، الذي قد يكون الأكثر قدماً، كان في الماضي أكثر تداولاً مما هو عليه اليوم. (الخشت، 2001، صفحة 19)

ب - مفهوم العلم (Science):

مفردة "العلم" في اللغة بمعنى "نقيض الجهل". "العلم مشترك لفظي بين عدة معانٍ ينبغي أن نستعرضها في هذا المجال؛ لتجنب مغالطة الاشتراك اللفظي، وهي كالتالي:

1- العلم هو حالة نفسية لا يراعى فيها مطابقة الواقع أو عدمها، فإذا جزم الإنسان و تيقن بشيء و لم يحتمل الخلاف فيه، فهذه الحالة النفسية علمٌ في مقابل الظن والشك والوهم الذي يتسرب فيه احتمال الخلاف من قبل المدرك. فهذا النوع من العلم يرتبط بالحالة للعالم، ولا يتعلق بمطابقة الموضوع للواقع؛ لذا فلو كان العلم بهذا المعنى مخالفاً للواقع، و لكن العالم يتيقن و يجزم بشيء يُعد هذا علماً.

2- الإدراك المطابق للواقع و لا يُلاحظ فيه اليقين الشخصي للعالم، بل الركيزة الأساسية في هذا المعنى هي المطابقة للواقع، فإذا كان الإدراك مطابقاً للواقع العيني فهو "علمٌ" و إلا يُعد جهلاً، و إن كان المدرك على يقين جازم منه. و العلم بهذا المعنى العام يشمل جميع العلوم التجريبية و العلوم الدينية والإنسانية و المعارف الكشفية و غيرها من العلوم البشرية. (عزيزي، 2019، الصفحات 22-21)

إن هذا المعنى العام للعلم و إن كان ضرورياً، فإنه لا يعطينا المعنى الدقيق للعلم الذي لا يمكن أن يتضح إلا من خلال المعنى الاصطلاحي له؛ حيث يُعرفه جميل صليبا بقوله: "العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، يقينياً كان أو غير يقيني، و قد يُطلق على التعقل، أو على حصول صورة الشيء في الذهن، أو على إدراك الكلي مفهوماً كان أو حكماً، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو إدراك الشيء على ما هو به، أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها، أو إدراك المسائل عن دليل، أو عن الملكة الحاصلة عن إدراك تلك المسائل. والعلم مرادف للمعرفة (connaissance)، إلا أنه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة و التعميم." (صليبا، 1982، صفحة 99)

فليس من السهل إعطاء جواب عن السؤال، ما العلم؟ فقد اختلف تعريف الناس للعلم على مر العصور، كما اختلفت مفاهيمه وقيمه عندهم، علماء و عامة على حد سواء. و من التعاريف التي أعطيت للعلم، أنه مجموعة المعارف الإنسانية التي من شأنها أن تساعد على زيادة رفاهية الإنسان أو أن تساعد في صراعه في معركة تنازع البقاء و بقاء الأصلح. فتمت تعريف أكاديمي موجز يقول إن العلم هو مجموعة الخبرات الإنسانية التي تجعل الإنسان قادراً على التنبؤ. فإذا ذكرنا أن الكون تنتظمه قوانين وأن معرفة أي من هذه القوانين حق المعرفة تعني معرفة أسبابه و مسبباته و نتائجها، و من ثم تمكن من التنبؤ، أدركنا أن التعريف يعني معرفة القوانين التي تنتظم الكون. فإذا عرفنا القوانين التي تنتظم الوراثة مثلاً صار بإمكاننا أن نعرف ما سيحدث إذا توافرت شروط معينة. (سعيدان، 1998، صفحة 14)

فالعلم ما هو إلا محاولة عن طريق الملاحظة و إعمال العقل القائم على هذه الملاحظة لاكتشاف الحقائق الخاصة بالعالم ثم اكتشاف القوانين التي تربط الحقائق بعضها ببعض. والعلم في الحالات التي تصادف حسن الحظ يجعل من الممكن التنبؤ بأحداث المستقبل. و التكنولوجيا العلمي يرتبط بهذا الوجه النظري للعلم. ويُستخدم هذا التكنولوجيا المعرفة العلمية لتوفير الراحة ووسائل الترف التي كان يستحيل تحقيقها فيما مضى أو التي كانت على أقل تقدير تتكلف نفقات باهظة في العصور السابقة على العلم. (برتراند راسل، د.س)، الصفحات 43)

I. جدلية الدين و العلم

لقد كان تاريخ العلم و الدين موضوعاً مثيراً للجدل، بالإضافة إلى المعتاد العلمي النزاعات الموجودة في أي مجال أكاديمي، فقد أصبح هذا الموضوع التاريخي متشابكاً بشكل أكثر عمومية المناقشات التاريخية وتأثرها بالمعتقدات الدينية أو المناهضة للدين لدى بعض المؤرخين، مع الأخذ في الاعتبار بعض القضايا الأساسية.

لم تبلغ الخصومة بين العلم و اللاهوت من الشدة ما بلغته في القرون الوسطى و بين أحضان النصرانية؛ فإنك لا تعثر في تاريخ الأديان كلها على تاريخ يشابه تاريخ مذاهب اللاهوت النصراني في قيامها في وجه العلم أزماناً طويلاً بل قرونًا متعاقبة. و السبب في هذا أنه قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يجب مطلقاً أن يبشر بشيء فيه أقل مخالفة لظاهر ما جاءت به الأسفار المقدسة و المثلون و رسائل الحواريين. و لست تعلم لماذا يكون هذا لزاماً على العلماء و الفلاسفة مع أن طبيعة الدين لا تسع هذا و لا تدع إليه. فإن وظيفة الدين في الواقع اجتماعية إرشادية لا تعليمية. ولكن شاءت عقول اللاهوتيين أن تكون وظيفته تعليمية؛ لهذا نشأ ما يسمونه الخصومة بين الدين و العلم، و ما هي في الواقع إلا خصومة بين اللاهوت و العلم. و كم من لاهوتي ظهر خلال القرون الوسطى و حاول أن يثبت أن الدين لا شأن له بالعلم و أن وظيفته تنحصر في أن يعرف الناس طريقة الخلاص في الآخرة، لا حركات الأجرام السماوية أو تكوين الأرض كيف يكون! و لكن المذاهب الشائعة في اللاهوت و من ورائها محاكم التفتيش، لم تكن تترك لأمثال هؤلاء مجالاً. و زاد الطين بلة أن اللاهوتيين و من ورائهم الكنيسة — و على رأسها البابوات المعصومون عن الخطأ — كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التي دأبت في تفسير الإنجيل و التوراة بإجازتها حيناً بعد حين، فأصبحت تلك التفسيرات في الواقع مقدسة كأصل المتون نفسها؛ لهذا كانت ثورة اللاهوت في القرون الوسطى حامية و نارها محرقة تلظى.

مما لا شك فيه أن الديانة - المسيحية لم يكن من طبيعتها مسيطرة النهضة العلمية الحديثة في زحفها المطرد الحثيث، و قفزاتها الواسعة الجبارة، تقول دائرة المعارف البريطانية: "إن المعلومات الكونية و اللاهوتية و العلمية التي وردت في الإنجيل لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تستحق النظر أو الاعتبار

إذا وضعت تحت منظار العلم الحديث - ويقول العلامة الفرد هوايت هد Alfred white Head " ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم، والخطأ حليف الدين." (يوسف، 1966، صفحة 12)

أ- علاقة الدين بالعلم علاقة تصادم

في سياق الحديث عن علاقة التصادم بين الدين والعلم، يمكننا القول أن جذور التعارض بين العلم والدين في تاريخ القرون الأخيرة، تعود إلى الفترة التي قام فيها رواد الكنيسة بالطعن في نظرية غاليله حول المنظومة الشمسية؛ إذ اعتقدوا بأن العلم المطلوب هو المتوفر في الكتاب المقدس فحسب، فيستأثرون بالعلم ولا يسمحون للعلماء بإبداع النظريات العلمية الجديدة ويقومون بتكفير العلماء و المفكرين الذين تخالف آراؤهم المعتقدات المسيحية. (عزيزي، 2019، الصفحات 4241) ونجد إشارة إلى علاقة التصادم بين الدين والعلم في رأي الفيلسوف الإنجليزي " برتراند راسل" المتضمن في كتابه: " العلم والدين" الذي حاول فيه بيان طبيعة العلاقة بين العلم والدين، حيث يُبين أنها علاقة صراع، و يقول في سياق تحديده لأسباب الصراع بينهما: " الدين والعلم وجهان للحياة الاجتماعية. وقد برزت أهمية الدين منذ نشأة تاريخ الفكر على الأرض في حين برزت أهمية العلم فجأة في القرن السادس عشر بعد فترة من الوجود المتقطع عند الإغريق و العرب ليشكل على نحو متزايد الأفكار و المؤسسات التي نعيش في ظلها." (برتراند راسل، د.س)، (صفحة 03) وما يمكن أن يُفهم من هذه الإحالة أن الصراع بين العلم والدين صراع قديم يعود إلى نشوء كل منهما، " واحتدم بين الدين و العلم صراعاً طويلاً ظل العلم فيه منتصباً بصورة أو أخرى حتى السنوات الأخيرة." (برتراند راسل، د.س)، (صفحة 03) و لكن بالرجوع إلى العصور الوسطى يتبين لنا أن الغلبة كانت للدين على العلم. "فمنذ القرن الثاني، لوحظ انحطاط عام في العلم وتدنّت كثيراً الفعالية العلمية، وحتى في القرن الرابع، حيث ابتدأت النهضة القسطنطينية اليهودوية تمنحه المزيد من الحياة، فلم يحقق هذا العلم أي تقدم على الصعيد العملي." (مينو، 2005، صفحة 104) ولعل من أبرز أسباب هذا التراجع العلمي في العصور الوسطى الأوروبية، هو تسلط الكنيسة. "لم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها وإنما شمل أيضاً الفكر و العلم والمعرفة و كل الشؤون الدنيوية لتشهد البلاد الأوروبية مزيداً من الصراع. وقد تأخر هذا النوع من الصراع بعض الوقت نتيجة للعصور المظلمة التي سادت أوروبا في تلك الفترة من العصور الوسطى، و هي الفترة التي سيطرت فيها الكنيسة على مقاليد الأمور في البلاد الأوروبية.

فالعقل الأوروبي في هذه الفترة كان شفا الاحتضار يعوزه الإبداع وتنقصه أصالة التفكير، فيردد بعض ما انحدر إليه من تراث القدامى منساقاً في ركاب الكنيسة التي استعبدته وفرضت سيطرتها ورقابتها الصارمة عليه، فلم يستطع الفكاه ولا

التخلص منها لأنها وضعت بين شقي الرحى: إما الانصياع لما تقرره الكنيسة دون النظر والتفكير وإما الاضطهاد والتعذيب و الحرمان و اللعن. و قد أثر العقل الأوروبي الخنوع و اتقى أسباب النزاع بانصياعه لاستبداد الكنيسة وسيطرتها، و لذلك بقيت أوروبا في العصور الوسطى تتسكع في دياجير الجهل و الخرافة و الانحطاط. و يكفي أن يطلع الفرد على كتابات مفكري العصور الوسطى ليدرك مدى التأخر العلمي الذي كانت عليه بلاد الغرب المسيحية." (عجيبة، 1991، الصفحات 4544)

ويذهب برتراند راسل إلى الاعتقاد بأن " العقائد هي المصدر الفكري للصراع المحتدم بين الدين والعلم. ولكن الحدة التي اتسمت بها معارضة الدين للعلم ترجع إلى الصلة التي تربط العقيدة بالكنيسة كما تربطها بنظام الأخلاق. فالذين يعبرون عن شكوكهم في العقيدة يضعفون سلطة رجال الكنيسة و قد يقللون دخلهم. أضف إلى ذلك الاعتقاد بأنهم يدمرون الأخلاق، لأن رجال الكنيسة درجوا على استخلاص الواجبات الأخلاقية من العقائد. و من ثم فإن الحكام الزمانيين و رجال الكنيسة يشعرون بأن هناك من الأسباب ما يجعلهم يخشون التعاليم الثورية التي يقدمها رجال العلم." (برتراند راسل، د.س)، (صفحة 05)

ففي العصور الوسطى، كانت بنية التعليم في أوروبا تُدار تحت إشراف الكنيسة، بل ويمكن القول إن إدارتها كانت تتم بواسطة هذه الهيئة الدينية. كانت هذه المؤسسات تعمل كمؤمن للحرية الأكاديمية ومحدد لحدودها. ولا شك أن امتداد نفوذ رجال الدين في أوروبا واتساع سلطانهم الدنيوي و هيمنتهم على السلطة المدنية قد مكّنهم من فرض سيطرتهم على طلاب العلم والمعرفة و من إحكام السيطرة على من يتمرّد منهم. فقد هيمنت الكنيسة على كل ميادين البحث العلمي و احتكرت حرية الفكر، و النظر العقلي، وفرضت عليها رقابتها الصارمة، و أعاق كل فكر علمي، و أقامت في وجهه السدود. يقول ولز: (كان رجال الدين يضيقون ذرعاً بأية معرفة عدا معرفتهم، لا يثقون بأي فكر لم يصححوه و يراقبوه، فنصبوا أنفسهم للحد من العلم الذي كانت غيرتهم منه بادية للعيان، وكان أي نشاط عقلي عدا نشاطهم يُعد في نظرهم نشاطاً وقحاً). (عجيبة، 1991، صفحة 47)

ويمكننا الإشارة هنا إلى ما يؤكد هذه الهيمنة التي مارستها الكنيسة و رجالها على العلم و الفلسفة، ففي عام 1210، قام أعضاء السينود الإقليمي في سانس، الذي احتوى في عضويته على أسقف باريس بوصفه أحد الأعضاء الرئيسيين، بإصدار إدانة لعدد كبير من الأفراد الذين أُعتُبروا هرطوقيين وفقاً لمعاييرهم. وقد أعلنوا تحذيراً صارماً مفاده أنه "لا ينبغي قراءة كتب أرسطو في الفلسفة الطبيعية أو أي من شروحها في باريس، سواء كان ذلك بشكل علني أو سري، مع التهديد بأنه تكون العواقب الحرمان." وهذا يدل على أن هذا الحظر المحدد لم يكن فعالاً بشكل ملحوظ، كما يتضح من الحاجة لتكرار

مدينة أو دولة، وكانت هذه أداة لكبح التفكير الحر، لم يعرف التاريخ لها نظيراً.

بد علاقة الدين بالعلم علاقة توافق

إذا كانت الديانة المسيحية في القرون الوسطى قد أدرجت القوانين العلمية برمتها في إطار الدين، واعتبرتها جزءاً من الدين، ولم تكن تسمح لأحد من العلماء المفكرين بأن يبدي رأياً أو نظرية تخالف الآراء العلمية المذكورة في الكتاب المقدس، وإلا قامت الكنيسة بتكفيره وحكمت بارتداده عن الدين. (...) وهي تركز على أنه مُنح الوحي للإنسان ليحل بدلاً من جميع العلوم و المعارف البشرية من العلوم التجريبية و الأخلاق والميتافيزيقا وغيرها، فالوحي يُغني الإنسان عن جميع العلوم. يعتقد هذا الاتجاه المفرط بأن الله - تعالى - أوحى إلى الإنسان ما يحتاج إليه، فلا يحتاج إلى التفكير، بل يجب عليه أن يصرف همه لتحصيل السعادة. فكل ما له دور وأهمية في تحقيق سعادة الإنسان موجود في الكتاب المقدس. فللكتاب المقدس مرجعية شاملة و مركزية مطلقة و ينبغي الرجوع إليه في كل شيء، يقول تيرتليان (Tertullianus): "أنا أؤمن لأن الإيمان فارغ من أي معنى. فلا شيء بعد الإيمان الديني حتى نعتقد به" (عزيري، 2019، الصفحات 72-71)

إن هذا الاعتقاد المُمثل لعلاقة التصادم بين الدين و العلم له ما يقابله من الاعتقادات التي لها نظرة أخرى إلى علاقة الدين بالعلم، إذ يعتقد البعض منهم أن علاقة الدين بالعلم لم تكن دائماً علاقة تصادم وتعارض، بل كانت في كثير من الفترات علاقة اتصال وتوافق وتداخل. فالعلاقة بينهما علاقة وثيقة ووطيدة، فهما يتعاضان ويتكاملان في كشف حقائق الكون، وبالتالي ليس هناك أي تعارض و تناف بين مسائل الدين و العلم، ونجد من بين المفكرين الذين يدافعون عن طابع التكامل بين الدين و العلم، ألفرد نورث وايتهيد (1861-1947)، والذي يؤكد على أنه بإمكاننا أن نصور نظاماً موحداً منسجماً في ضوء تعاضد العلم و الدين. كذلك جورج شلزينجر (George Schlesinger) (1946-) يعتقد بأنه علينا أن نستخرج المدعيات الكلامية و العقديّة حول العالم الخارجي، ثم نقوم بتقييمها العلمي بمساعدة الملاحظة و المنهج التجريبي، و إن كان منهج العلم و الدين غايتهما وموضوعهما يختلف بعضها عن بعض. (عزيري، 2019، صفحة 79)

يُفهم من هذه المواقف، أن العلاقة بين الدين و العلم لم تكن دائماً علاقة تصادم كما كان عليه الأمر في العصور الوسطى المبكرة كما صورتها الكنيسة، والتي كان رجالها يستبدون بالعلم و العلماء ويضعون العوائق أمام الحركة العلمية و يقيدون بذلك العقل الإبداعي. كذلك نجد الفيلسوف البريطاني دونالد مك كي (Donald Mackay) (1922) يعتقد بالتناسق و التلاحم بين العلم و الإلهيات ويقول: « "التعارض" بين العلم و الدين يحصل فيما إذا كان هناك موضوعٌ و حادثٌ واحدةٌ مع تفسير واحدٍ له، و التمايز بين العلم

هذا التحذير مرة أخرى في عام 1215، ما يدل على أن الجهود المبذولة لمكافحة الأفكار التي يعتبرونها خطيرة لم تؤت ثمارها كما هو متوقع. وفي عام 1231، تم اعتماد نهج جديد، أكثر مرونة وسعة في التفكير، حيث قام البابا غريغوري التاسع بإنشاء لجنة تضم ثلاثة أفراد، تهدف هذه اللجنة إلى "استبعاد كل ما قد يبدو خاطئاً أو يحتمل أن يثير فضيحة أو إساءة كبيرة للقراء، حتى يتسنى بالتالي دراسة كل ما يتم إزالته بطريقة مناسبة وبدون أي تأخير." واستشهد البابا غريغوري في سياق هذه المداولات بالحساب الكتابي للأحداث التاريخية التي تخص العبرانيين، الذين اجتازوا المصريين وأخذوا معهم الأواني الذهبية والفضية، بينما تركوا تلك المصنوعة من النحاس أو الطين. ومن المهم الإشارة إلى أنه على الرغم من أهمية هذه اللجنة، إلا أنها لم تقدم أي تقرير موضح عن أعمالها، ولم تُنفذ جهود فعالة لتطهير فلسفة أرسطو الطبيعية بصورة تؤدي إلى نتائج ملموسة أو مقنعة.

و هناك الكثير من الشواهد تؤكد ما تعرض له العلماء من الانتقادات و الرفض لأفكارهم التي بدت لرجال الكنيسة متعارضة مع مضامين الديانة المسيحية، فهذا كوبرنيكوس الذي ظلت أفكاره متداولة لعدة أعوام قبل نشر كتابه «عن ثورة الأجرام السماوية» و لاقت هجوماً ضارياً من المصلحين البروتستانتين بوصفها انحرافاً عن تعاليم الكتاب المقدس، فقد نعت مارتن لوتر (1483-1546) — الذي أصر على القراءة الحرفية للكتاب المقدس بوصفها عودة إلى المسيحية الأصلية — كوبرنيكوس بأنه مُنجمٌ أحمق ومغرور. (جوتليب، 2014، صفحة 433)

يكفي هذا النص دليلاً على التضييق التي كانت تمارسه الكنيسة و رجالها على رجال الفكر من العلماء والفلاسفة، فالباباوات عوض أن يقوموا بدور فعال في تقدم الشعوب الأوروبية حيث توافرت لهم كل السبل الوسائل للقيام بهذا الدور، فهم أصحاب نفوذ و سلطان و سيادة و سلطة دينية و دنيوية" فإنهم أساءوا استعمال هذا السلطان الهائل، و تلك النفوذ الواسع، فاستغلوه لأنفسهم و نفوذهم وجاههم" حيث سيطر عليهم حب المال و الجاه و السلطان.

وفي سبيل الحفاظ على هذا النفوذ و توطيده كانوا على أتم الاستعداد لاستخدام كل أساليب التنكيل والاضطهاد لكل من تسول له نفسه بالخروج عليهم، أو مخالفتهم، أو زعزعة الثقة في حكمهم و سلطانهم، فلم يهادنوا المخالفين، ولم يسامحهم، وإنما نكلوا بهم من غير رفق ولا رحمة ولا هوادة و أذاقوهم مرارة المخالفة. (عجيبة، 1991، الصفحات 38-39)

فلقد كانت عيون الكنيسة تفتش عن خصومها، وتقيم المحاكم لتروغ الملاحدة بأحكامها الصارمة، ولهذا أنشأ البابا جريجوري التاسع محكمة التفتيش عام 1223م، ويمكن لهذا النظام أمر بابوي أصدره أنوسنت الرابع عام 1252، ضبط به نظام الاضطهاد كجزء رئيسي من الكيان الاجتماعي في كل

والدين فيما إذا كان هناك موضوعان متغيران مع تفسيرين متغيرين لهما. و"التكامل والتعاقد" بين العلم والدين يتحقق فيما إذا كان هناك موضوع واحد مع تفسيرات متعددة له، مع تغيير منهجهما وغايتهما، فهذا هو التعاقد والتكامل بين العلم والدين» (عزيزي، 2019، الصفحات 80-79).

يمكن أن يدرك من هذا النص، أن غاية الدين والعلم واحدة وإن تعددت مناهجهما واختلفت، فهما يتأملان ويبحثان موضوعاً واحداً، ولكن بطرق مختلفة، فالفهم الشامل للطبيعة ومظاهرها المختلفة، يحتاج إلى التفسير العلمية والدينية معاً. فغاية العلم هي الكشف عن النظم السائد على الطبيعة، ويتمثل هذا النظم في القواعد العلمية. ولكن هدف الدين هو أن يتعرف الإنسان على غاية العالم ومعناه، وهو الله تعالى، وأن يعرف مكانته في الكون. (عزيزي، 2019، صفحة 81)

من خلال هذا الطرح يتضح أن القرون الوسطى لم تكن في كل حقبتها الزمنية عصور صراع بين الدين والعلم، وأن الدين لم يكن في جميع فترات عائقاً للحركة العلمية كما يذهب إلى ذلك منتقدي هذه العصور، بل عرفت هذه الحقبة حركة علمية نشيطة خاصة بداية من القرن الحادي عشر، حيث ظهرت الكثير من الإبداعات العلمية والتقنية.

فعلى الرغم من جميع الانتقادات التي وُجّهت إلى العصور الوسطى، إلا أن هذه الفترة التاريخية تُعتبر واحدة من الفترات التي شهدت بعض الابتكارات والإبداعات في مسيرة البشرية. فخلال هذه الحقبة، شهدت المجتمعات الأوروبية تحقيق تقدم ملحوظ في مجالات متنوعة، بما في ذلك التجارة والزراعة والصناعة. ومن بين الابتكارات التكنولوجية المهمة التي ظهرت في تلك الأوقات كانت النظارات، التي ساهمت في تحسين الرؤية ودعم التعليم، والبوصلة المغناطيسية، التي غيرت طريقة الملاحة واكتشاف الأراضي الجديدة. كما برزت أيضاً الساعة الميكانيكية، التي أدت إلى تنظيم الوقت بشكل أكثر دقة، مما كان له تأثير كبير على الحياة اليومية. إضافةً إلى ذلك، تطورت الأسلحة النارية والمدافع، مما أثر بشكل كبير على الأساليب العسكرية والحروب. كذلك، ظهرت أنظمة الدفات البحرية التي ساعدت في تحسين الملاحة البحرية وتسهيل حركة التجارة. وكان هناك أيضاً تقدم في الآليات التي استخدمت لتحويل الحركة الدورانية المستمرة إلى حركة ترددية، مما ساهم في تطوير العديد من الماكينات. علاوةً على ذلك، شهدت هذه الفترة ابتكار تقنيات طباعة الكتب، التي كان لها دور فعال في نشر المعرفة وتعزيز التعلم. لذا، فإن فترة العصور الوسطى، على الرغم من كل الانتقادات، كانت مرحلة غنية بالتطورات التي أسهمت في بناء الأسس التي أدت إلى تطورات لاحقة في العصور الحديثة. (Grant, 2006, p. 12)

فبحلول القرن الحادي عشر، بدأت أوروبا تتشكل بشكل جديد ومختلف تماماً عن الهيكل الذي كانت عليه الإمبراطورية الرومانية فيما إذا كان هناك موضوعان متغيران مع تفسيرين متغيرين لهما. و"التكامل والتعاقد" بين العلم والدين يتحقق فيما إذا كان هناك موضوع واحد مع تفسيرات متعددة له، مع تغيير منهجهما وغايتهما، فهذا هو التعاقد والتكامل بين العلم والدين» (عزيزي، 2019، الصفحات 80-79).

وعند انتهاء هذه العملية المعقدة، استطاع المترجمون في غرب أوروبا أن يحققوا إنجازاً كبيراً بترجمة غالبية الأعمال العظيمة لأشهر مؤلفين من العصور اليونانية والعربية إلى اللاتينية. شملت هذه الأدبيات مجالات متنوعة وشاسعة، تتضمن العلوم الدقيقة التي تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية، والطب الذي يعد ركيزة أساسية لرعاية الصحة، وخصوصاً الفلسفة الطبيعية التي كانت بمثابة العمود الفقري للفكر الفلسفي والعلمي في ذلك الوقت. في الفئة الأخيرة، كانت الأعمال الأكثر أهمية والتي نالت تقديرًا عالياً هي تلك التي تعود لأرسطو (384-322 قبل الميلاد)، المعروف بأنه ربما أعظم الفلاسفة والعلماء في العالم القديم، حيث أثرت أفكاره ونظرياته بشكل عميق في الفكر الأوروبي الحديث وحضرت إلى الواجهة في النقاشات الفلسفية والعلمية في العصور الوسطى وما بعدها.

فلقد هيمنت أعمال الفيلسوف العظيم أرسطو في مجالي المنطق والفلسفة الطبيعية على مجريات النقاش الفكري والتفكير الفلسفي من الفترة المتأخرة للعصور الوسطى وحتى نهاية القرن السابع عشر. تُعرف المعاهدات الأساسية في فلسفته الطبيعية عادةً بأسمائها المعروفة، التي تشمل على: كتاب الفيزياء، الذي يتناول فيه طبيعة المادة والحركة، وكتاب على السماوات، الذي يناقش فيه موضوع الكون وتركيبه، وكتاب على التولد والفساد الذي يتطرق إلى العمليات الطبيعية من نشوء الأشياء واندثارها، وكتاب الأرصاد الجوية الذي يتناول الظواهر الجوية، وأخيراً كتاب على النفس الذي يتناول طبيعة الروح. تعتبر هذه الأعمال محورية لفهم فلسفة أرسطو وأفكاره الفلسفية. لكن في الوقت نفسه، فإن أعمال أرسطو في مجالات المنطق والميتافيزيقا كانت ذات تأثير بارز وهام، إضافةً إلى معاهداته التي تناولت البيولوجيا والسياسة والبلاغة، مما يجعل من أعماله موسوعة فكرية متكاملة في مختلف مجالات المعرفة. ومع ذلك، فإن أعمال أرسطو في الفلسفة الطبيعية أثارت جدلاً واسعاً بين المفكرين، حيث اعتبرها بعضهم بمثابة تهديد للمعتقدات الحالية. وبرز هذا الجدل بشكل ملحوظ خلال القرن الثالث عشر، والذي يعد بمثابة الحقبة الأولى التي أصبحت خلالها معظم أعمال أرسطو متاحة للدراسة والتحليل والنقاش.

والتجربة والامتحان، وأما الدين فيجب أن يوضع في دائرة القلب، لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد في الكتب من غير فحص لها، وأن برهان العلم مخالف لبرهان القلب فلا ينطبق هذا على ذلك، ولا سبيل لإثبات أحدهما من طريق الآخر لأن منهجيهما و أدوات معالجة المسائل مختلفة، بالرغم من أن الغاية والهدف واحد في الغالب. وقد يؤدي هذا السيناريو إلى تفاقم الانقسامات الاجتماعية، خاصة فيما يتعلق بقضايا جدلية مثل التطور، وتغير المناخ، والأخلاقيات الحيوية.

■ التعددية والتنوع: قد تؤدي التطورات المستقبلية إلى بروز رؤى تعددية، تتميز بتعايش معتقدات دينية متعددة إلى جانب الفهم العلمي. قد يسهل هذا التطور تفسيراً جديداً للنصوص الدينية استجابةً للاكتشافات العلمية ويوسع الفكر الديني ليشمل وجهات نظر علمية.

■ العلم كممارسة روحانية: قد يبدأ بعض الأفراد في رؤية العلم كممارسة روحانية، حيث يُعتبر السعي وراء المعرفة والفهم ليس مجرد جهد فكري، بل جزءاً من الاستكشاف الروحي، وقد يدفع هذا التحول إلى ربط الاكتشافات العلمية بالمعنى الروحي أو الديني.

■ التحديات التكنولوجية والأخلاقية: مع تقدم العلوم، ستثار بلا شك استفسارات أخلاقية ومعنوية تتداخل مع المعتقدات الدينية، لاسيما في مجالات مثل الهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي. وقد تعزز هذه الديناميكية تعاوناً مشتركاً للتصدي لهذه التحديات، أو قد تثير نقاشات لاهوتية كبيرة.

■ العلمانية والمادية: في بعض السياقات، قد يستمر صعود العلمانية، مما يؤدي إلى انخراط أقل مع الدين وتبني نظرة مادية متزايدة. قد يقلل هذا الاتجاه من تأثير الدين على البحث العلمي وصياغة السياسات العامة.

■ إعادة تقييم المعتقدات الدينية: قد تقوم بعض التقاليد الدينية بمراجعة معتقداتها استجابةً للاكتشافات العلمية، مما قد ينتج عنه تغييرات جوهرية في نظمها العقائدية. قد تكون هذه التحولات ملحوظة بشكل خاص في المجالات التي تتحدى فيها الاكتشافات العلمية الآراء التقليدية، مما يحفز إعادة تفسير أو إصلاح.

■ التعاون في القضايا العالمية: هناك إمكانية لتقارب الدين والعلم في معالجة التحديات العالمية الملحة مثل الفقر، تغير المناخ، والعدالة الاجتماعية، وقد تظهر جهود تعاونية تدمج الحقائق الأخلاقية من التعاليم الدينية مع المنهجيات العلمية لحل هذه المشكلات بشكل فعال.

■ عودة الأساليب الصوفية أو التجريبية: قد يحدث اهتمام متجدد بالأبعاد التجريبية للدين، حيث تُقدّر اللقاءات الشخصية والتجارب الصوفية بجانب الاستكشاف العلمي، وقد يتوج هذا الاتجاه في توليفة من الرؤى المستمدة من كلا المجالين.

وفي مرحلة ما قبل الترجمات من اليونانية والعربية إلى اللاتينية، كانت أوروبا الغربية تعاني من نقص في المعرفة الشاملة حول هذا الإرث الفكري العظيم في مجالات العلوم والفلسفة الطبيعية، التي كانت معروفة ومألوفة منذ زمن بعيد في الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي. ومع بداية تدفق هذا الكم الهائل من العلوم المترجمة، أصبح من المناسب أن نتساءل عن كيفية استجابة المسيحيين لهذا الجسد الأدبي الذي لم يكونوا على دراية به من قبل. فكثير منهم سَعوا بشغف نحو فهم هذه الأفكار الجديدة، رغم وعيهم بالتحفظات والتحديات المتعلقة بالإيمان التي قد تترتب في ثنائيات تلك الأدبيات الغنية والمعقدة. تمثل هذه الديناميكية في البحث والفهم علامة بارزة على تطور الفكر في تلك الحقبة التحولية.

ومن خلال ما سبق ذكره، يمكننا القول أن الموقف من العصور الوسطى ليس على الصورة التي رسمها رجال عصر النهضة، صورة التحجر العقلي، بل نشاهد خطأً للتطور نحو تحرر العقل مستمرا يبدأ من جون سكوت أريجين Erigen ويستمر دون التواء ولا انقطاع حتى نهاية القرن الرابع عشر، أعني نهاية القرون الوسطى.

والواقع أن القرن الخامس عشر، وهو عصر النهضة الأوروبية لم يأت بشيء مفاجئ ولم يكن طفرة مباغتة، بل كانت الأفكار التي ظهرت فيه استمراراً للتطور حي مستمر في القرون السابقة عليه، وكان فضاءً طبيعياً لنمو حثيث متواصل لحرية العقل الإنساني وانطلاقه من القيود التي فرضت عليه في القرون الأولى.

ولذا يجب أن نرفض دعوى من يزعمون أنه كانت نهضة Renaissance في القرن الخامس عشر، بمعنى بعث مفاجئ وطفرة في التطور، فلا نهضة ولا شبه نهضة، بل استمرار متطور حثيث فعال لا هوّة فيه، تطور العقل الإنساني نحو الحرية والتفكير المستقل غير المحدود بمضمون ثابت يفرض عليه من خارجه فرضاً. (بدوي، 1979، صفحة 193)

خاتمة

مما سبق يمكننا القول، أن العلاقة بين الدين والعلم تعد موضوعاً معقداً ومتعدد الأبعاد، حيث يمكن أن تتطور بشكل متنوع. فيما يلي بعض النتائج المحتملة المترتبة عن دراستنا لطبيعة هذه العلاقة، والتي من بينها:

■ تعزيز الحوار والتكامل: قد ينشأ توجه متزايد نحو الحوار البناء بين المجتمعات الدينية والعلمية، مما يعزز فهماً متكاملاً للوجود. يتضمن هذا التكامل الاعتراف بالمساهمات الفريدة لكل منظور، حيث يوضح العلم "كيف" يعمل الكون بينما يتأمل الدين في "لماذا".

■ الصراع والاستقطاب: على النقيض، قد تشهد بعض المناطق أو الجماعات زيادة في الانقسام، مما يركز على نموذج الصراع الذي يميز العلم والدين ككيانين متعارضين. فالعلم يجب أن يوضع في دائرة العقل لأن قواعده مبنية على المشاهدة

في النهاية، سيتشكل مسار العلاقة بين الدين والعلم من خلال الديناميات الاجتماعية والثقافية، والأطر التعليمية، والقنوات الفردية، والمشهد المتطور باستمرار للمعرفة العلمية. ستعكس النتائج المتنوعة اختلافات كبيرة عبر المناطق الجغرافية والمجتمعات، مما يوضح الطرق المتعددة التي يتفاعل بها الأفراد مع كل من العلم والدين، و لذلك يجب أن يعيشا جنباً إلى جنب بسلام وأمان من دون أن يسطوا أحدهما على الآخر، إذ كلاهما نافع وضروري لهذه الإنسانية.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

قائمة المراجع

- أحمد سليمان سعيدان. (1998). مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام. الكويت: مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- أحمد علي علي عجيبة. (1991). البابوية و سيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى (الإصدار 1). طنطا (مصر): مطابع الشناوي.
- برتراند راسل. ((د.س)). -، الدين والعلم، تر: رمسيس عوض. دار الهلال.
- جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي (المجلد 1). دار الكتاب اللبناني.
- جورج مينو. (2005). الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي (الإصدار 1). دمشق (سوريا): الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الرحمان بدوي. (1979). فلسفة العصور الوسطى (الإصدار 3). بيروت (لبنان): دار القلم.
- محمد عثمان الخشت. (2001). مدخل إلى فلسفة الدين. القاهرة (مصر): دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد علي يوسف. (1966). الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (الإصدار د.ط.). بيروت (لبنان): منشورات دار مكتبة الحياة.
- مصطفى عزيزي. (2019). العلم والدين (الإصدار 01). العراق: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقيدية.
- نتوني جوتليب. (2014). حلم العقل (الإصدار 1). (محمد طلبية نصار، المترجمون) القاهرة (مصر): مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- Grant, E. (2006). Science and Religion, 400 B.C. to A.D. 1550, from Aristotle to Copernicus. Baltimore, Maryland (USA): The Johns Hopkins University Press.

- كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

نورالدين بوزار (2025)، جدلية الدين والعلم في العصور الوسطى، بين التصادم والتوافق، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات: 193-201